

المحاضرة العاشرة فواتح السور القرآنية وخواتمها

فواتح السور القرآنية وخواتمها

[فواتح السور]

اهتم العلماء المتخصصون بعلوم القرآن والباحثون عن أوجه الإعجاز فيه بدراسة فواتح السور القرآنية في إطار دراستهم لكل ما يتعلق بالقرآن، من حيث قطعية ثبوته وأوجه دلالاته.

وجاء افتتاح السور القرآنية متعدد الأشكال مختلف الأساليب، واضح الدلالة على معاني دقيقة، بعضها واضح جلي، والبعض الآخر لا سبيل لمعرفة، وحرص العلماء على بيان رأيهم واجتهادهم فيه، ملتزمين بأوجه الحكمة في ذلك، باحثين عن دلالات هذه الظاهرة التي تدخل ضمن مظاهر الإعجاز.

وكتب ابن أبي الإصبع كتاباً في هذا الموضوع سماه «الخواطر السوانح في أسرار الفواتح ، وقال الزركشي في البرهان:» وقد افتتح سبحانه وتعالى كتابه العزيز بعشرة أنواع من الكلام ، لا يخرج شيء من السور عنها» .

الأول: الاستفتاح بالثناء عليه عز وجل، وهو قسمان:

١ - إثبات لصفات المدح، كالتحميد «الحمد لله»، وجاء في خمس سور، الفاتحة والأنعام والكهف وسبأ وفاطر، و «تبارك» وجاءت في سورتين الفرقان والملك تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ، تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ.

٢ - تنزيه الله عن النقص: كالتسبيح، وجاء في سبع آيات، في الإسراء والحديد والحشر والأعلى والجمعة والتغابن ، ((سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ، سَبِّحْ لِلَّهِ، يُسَبِّحُ لِلَّهِ)).

وهذه أربع عشرة سورة، نصفها لإثبات صفات الكمال له، ونصفها لتنزيه الله عن النقص.

الثاني: الاستفتاح بحروف التهجي:

وجاء في تسع وعشرين سورة، الم، المص، المر، كهيعص، طه ...

طس، طسم، حم، حم عسق، ق، ن، قال الزمخشري في الكشف:

«وإذا تأملت الحروف التي افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامي حروف المعجم، ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف، المهموسة والمجهورة والشديدة والمستعالية والمطبقة والمنخفضة وحروف القلقله» وحاول العلماء إيجاد رابط بين أحرف الافتتاح وموضوع السورة، فسورة «ق» مناسبة لما في حرف القاف من شدة وجهر وقلقله وانفتاح، وسورة «ص» اشتملت على خصومات متعددة وسورة «ن والقلم» جاءت فواصلها على الوزن من الألفاظ النونية.

الثالث: الاستفتاح بالنداء:

وجاء في عشر سور:

- قال تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ وجاءت في الأحزاب والطلاق والتحريم.
- وقال: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ وجاءت في سورة المدثر.
- وقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وجاءت في المائدة والحجرات والممتحنة.
- وقال: يا أَيُّهَا النَّاسُ وجاءت في النساء والحج.
- وقال: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ في سورة المزمل.

الرابع: الاستفتاح بالجملة الخبرية:

وجاء في ثلاث وعشرين سورة:

- قال تعالى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، وَبَرَاءةٍ مِنَ اللَّهِ، أَتَى أَمْرُ اللَّهِ، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ، قَدْ سَمِعَ اللَّهُ.

الخامس: الاستفتاح بالقسم: وجاء في خمس عشرة سورة:

- قال تعالى: وَالصَّاقَاتِ، وَالذَّارِيَاتِ، وَالطُّورِ، وَالنَّجْمِ، وَالْمُرْسَلَاتِ، وَالْفَجْرِ،
وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ ... وهكذا.

السادس: الاستفتاح بالشرط:

وجاء في سبع سور:

- قال تعالى: إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ، إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ، إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ، إِذَا
السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ، إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ...

السابع: الاستفتاح بالأمر:

وجاء في ست سور:

قُلْ أُوْحِي، اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، قُلْ أَعُوذُ
في سورتين •

الثامن: الاستفتاح بالاستفهام:

وجاء في ست سور:

- قال تعالى: هَلْ أَتَى، عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، هَلْ أَتَاكَ، أَلَمْ تَشْرَحْ، أَلَمْ تَرَ، أَرَأَيْتَ.

التاسع: الاستفتاح بالدعاء:

وجاء في ثلاث سور:

- قال تعالى: وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ، تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ.

العاشر: الاستفتاح بالتعليل:

وجاء في سورة واحدة:

- قال تعالى: لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ.